دلالة اللفظ بين الوضوح والخفاء في القرآن الكريم

خالد بريمة يوسف مرجب*

المستخلص:

كَثُرت البحوث اللغوية في رحاب اللغة القرآنية، خاصة البحوث التي تتعلق بمعاني القرآن الكريم، من تفسير وتأويل وغير ذلك، فشاعت كتب التفاسير والتأويل وتنوعت، حتى صار للآية الواحدة في القرآن الكريم أكثر من تفسيرٍ أو تأويل، ومن هذا المنطلق كانت هذه الدراسة.وقد اهتمت الدراسة بمعرفة الدلالات الظاهرة والخفية للألفاظ القرآنية، وذلك على هدى عادات العرب الكلامية فى كلامهم وما فيه من ظهور وخفاء وحقيقة ومجاز وغيرها، شريطة ألا يخالف ذلك الكتاب والسنة.ومن خلال الدراسة يتبين أن هناك اختلافاً بين العلماء في تحديد بعض الدلالات الظاهرة والخفية للألفاظ القرآنية، ولكن بالنظر إلى هذا الاختلاف نجده في حقيقته اللغوية ليس اختلافاً يؤدي إلى فساد المعنى؛ وإنما مرد ذلك أن القرآن الكريم حمّال أوجه وقد نزل على عادات العرب في كلامهم.ومن خلال الدراسة نجد أن العديد من الألفاظ القرآنية الظاهرة والخفية في دلالاتها قد تحمل دلالات مشتركة، ويمكن أن تشكل هذه الألفاظ مجتمعة حقلاً أو مجالاً دلالياً واحداً، يساعد في الكشف عن معانيها وإظهار المزية التي استعملت من أجلها في هذا المقام، وهذا بدوره يعد جانباً من جوانب الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم في دلالاته الظاهرة والخفية.

ABSTRACT:

Increased linguistic research in the field of Quranic language, particularly research on the meanings of the interpretation of the Holy Qur'an, interpretation and other spread written interpretations and explanation and diversified, until it became holy verse in the Holy Qur'an,has more than one hundred of the interpretation or interpretation. And this was the spirit that this study, which was interested in knowing the connotations and hidden words Qur'anic phenomenon, according to habits of Arabs from the emergence of verbal and subtle ways and the that they are not contrary to, the Quran and the Sunna.

Throughout the study it is found that there is a difference between scholars in identifying some indications phenomenon and hidden Quranic words, but in view of the fact that we can find in language is not a difference leads to the corruption on, but this is due to the fact that the Quran is a porter faces of the lodge on the habits of Arabs in their words.

During the study, we find that many of the words in the Qur'anic meanings and hidden phenomenon had carried common signs which construct one field or an indicative domain that can help in revealing the meaning and show advantage, which had been used for in this regard And this, in turn, is an aspect of linguistic miracle of the Quran in monstrous phenomenon and hidden.

الكلمات المفتاحية:

قرائن داخلية المفسر الثابت بالإشارة

• قسم اللغة العربية- كلية التربية- جامعة غرب كردفان - ٠٩١٥٠٢٦٢٦٧

المقدمة:

من يطلع علي الدراسات اللغوية التى دارت حول معاني الألفاظ القرآنية، يجد أن هذه الدراسات على الرغم من كثرتها قد أغفلت جانباً هاماً من جوانب الدراسة للمعاني القرآنية. وهو الجانب الذى يتعلق بتأويل العديد من المعاني للألفاظ القرآنية الخفية الدلالة فى القرآن الكريم وبيان مدي اختلاف العلماء حولها فى التأويل، وما جاء من دراسات فى هذا الجانب ماهو إلا عبارة عن إشاراتٍ طفيفة فى ثنايا العديد من المؤلفات المطولة، ومالأُفرد لذلك من دراسات فهو قليل.

لذا كانت هذه الدراسة فى ثنايا المعاني للألفاظ القرآنية وهي بمثابة الغيض من الفيض فى هذا المجال .

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الآتي:

١. التعرف على دلالات الألفاظ القرآنية القطعية الظاهرة والخفية الدلالة
٢. كيف نزل القرآن الكريم على عادات العرب الكلامية ومافيها من ظهور وخفاء وحقيقة ومجاز وغيرها
٣. بيان اختلاف العلماء فى تحديد معاني بعض الألفاظ القرآنية وبيان دلالاتها خاصة الخفية منها.
٤. القرآن الكريم فى دلالاته يعتمد كثيراً على الدلالات المشتركة(الحقل الدلالي) فى معرفة المعنى الذى يشير إليه اللفظ، فكل لفظ وكل معني فى القرآن الكريم نجده يتجانس مع مجموعة الألفاظ والمعاني التى وردت معه فى السياق اللغوى، وهذا بدوره يعد إعجازاً لغوياً للقرآن الكريم إذ يعتبر المعنى أو الدلالة ركناً مهماً من أركان التحليل اللغوى والدلالة هى المعنى، ودلالة أى لفظ هى ماينصرف إليه هذا اللفظ فى الذهن من معنى مدرك محسوس أو معنى خفى.

والقرآن الكريم هو كتاب الله وقد خاطب الله سبحانه وتعالي بكتابه العرب وبلسانهم نزل وقد اشتهر العرب باتساع اللسان وفى ذلك يقول الأمام الشافعي: (فأنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ماتعرف من معانيها...إلخ)[١]

وقد وقف علماء الشرع وعلماء اللغة تحت ظلال الآيات القرآنية، وذلك لمعرفة معانيها، ومعرفة عمق تلك المعانى وسعتها التعبيرية معتمدين فى ذلك على الدلالة اللغوية التى تربط اللفظ بالمعنى.

ويعرف المعنى عند علماء اللغة بعدة طرق، ومما جاء فى ذلك قول الجاحظ:(ثم أعلم حفظك الله أن حكم المعانى خلاف حكم الألفاظ، لأن الألفاظ مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعانى محصورة ومعدودة ومحصلة محدودة، وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير، وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها.....)[٢]

ومن خلال هذا القول يتجلى لنا موقف الجاحظ من الحكم بأفضلية (اللفظ على المعنى ، أو المعنى على اللفظ)، ويؤكد أيضاً الجاحظ من خلال ذلك القول على الدلالة اللغوية التى تربط اللفظ بالمعنى.

ويعرف الجرجانى المعنى بقوله:(مايقصد بشيءٍ) والشيء هو: مايجوز أن يخبر عنه وتصح الدلالة عليه)[٣]، والشيء هنا له معياران فى التعريف هما:

أ- أن يخبر عنه ب- تصح الدلالة عليه

والمعنى عند علماء اللغة عامةً ماهو إلا الصورة الذهنية التى وضع بإزائها اللفظ، وبدون هذه الحيثية لايسمى معنى وقد يكتفى فى إطلاق المعنى على الصورة الذهنية لمجرد صلاحيتها لأن تقصد باللفظ سواءً وضع لها أم لا، وللصورة الذهنية تعلق بمفهوم الدلالة، فهى المدلول الذى يدل عليه اللفظ والشئ الذى

---

(١) الشافعي، محمد بن إدريس(١٩٤٠م) الرساله، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ص٥١.

(٢) الجاحظ ، عمرو بن بحر(١٤٢٣هـ) البيان والتبين، ج١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص٧٦

(٣) الجرجانى، على بن محمد (د.ت) التعريفات، مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، لبنان، ص ١٠٩.

ورد فى تعريف الجرجانى وغيره هو الدال والصورة الذهنية هى المدلول[٤]

أما تعريف المعنى عند علماء الأصول فهو: علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية اليقينية وموضوعه الأدلة الشرعية الكلية من حيث إنها كيف تستنبط عنها الأحكام الشرعية[٥]

ولاستخلاص المعنى عند علماء الأصول ضوابط وأحكام[٦] منها:

١. **الثابت بالعبارة:** وهو ماكان السياق لأجله، ويعلم من قبل التأمل فى ظاهر النص.

٢. **الثابت بالإشارة:** وهو مالم يكن السياق لأجله لكنه يعلم بالتأمل فى معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولانقصان.

٣. **الثابت بدلالة النص:** وهو ماثبت بمعنى النظم لغة لااستنباطاً بالرأى، لأن للنظم صورة معلومة ومعنى هو المقصود به، والألفاظ دوماً مطلوبة للمعانى، وثبوت الحكم بالمعنى المطلوب باللفظ بمنزلة الضرب له صورة معلومة، مثال لذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [٧]، و للتافف صورة معلومة ومعنى لأجله ثبتت الحرمه وهى صورة للأذى.

٤. **الثابت بمقتضى النص:** وهو عبارة عن زيادة عن المنصوص عليه، ويشترط تقديمه ليصير المنظوم مقيداً أو موجباً للحكم، بمعنى أن الحكم إذا كان مفهوماً من اللفظ شرعاً فهو الإقتضاء.

وقد تعمق علماء الأصول فى دراسة المعنى وتحديد القرائن المحيطة به، والتى تساعد فى تحديد القصد أو الشئ وحصروا تلك القرائن فى الآتي:

١.**قرائن داخلية،** وهى القرائن المذكورة بالنص ذاته، والتى رافقتة لفظاً ونطقاً وربما تتأخر عنه فى العبارة أو تتأخر عنه فى النطق.

.**قرائن خارجية،** وتتمثل فى أسباب النزول، وأقوال الصحابة، والمعنى فى ضوء ذلك ينقسم بدوره إلى قسمين هما:

أ.الواضح ب.غير الواضح.

ويتفرع الواضح بدوره إلى عدة أقسام منها:

١. **الواضح بالنص:** وهو مادلت عليه القرينة اللفظية التى صحبت النص، أو القرينه الخارجية التى أوضحتها أسباب النزول أو الظروف المحيطة، وزيادة الوضوح هنا تعود إلى القرينة التى بين يدى النص، مثال لذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ...﴾[٨] فالتفرقة هنا واضحة بين العقدين هدفاً وغاية، والحكم الشرعى واضح من حيث الحل والحرمة والمعنى هنا معبر عنه باللفظ الموضوع للدلالة عليه فى الحالتين[٩].

٢. **الظاهر:** وهو اللفظ الذى يغلب على الظن فهم معنى منه من غير قطع وقد أشار إلى ذلك الغزالى بقوله:(اعلم أن اللفظ إما أن يتعين معناه بحيث لايحتمل غيره فيسمى مجملاً، وإما أن يظهر فى أحدهما ولا يظهر فى الثانى فيسمى ظاهراً[١٠]

ويضيف علماء الأصول إلى تلك التقسيمات التى وردت فى شأن الواضح، قسمين:

---

(٤) نقلاً عن : الخوارزمى، أبى عبد الله محمد بن أحمد (د.ت) مفاتيح العلوم، دارالكتب العلمية، لنان، بيروت، ص١٧.

(٥) الجرجانى، التعريفات، مرجع سابق، ص١١٠

(٦) ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر(١٩٣٩م) مفتاح السعادة، ط٢، مكتبة الأزهر، القاهرة، ص٢٢.

(٧) سورة الاسراء، الآية ٢٢.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٩) الشوكانى، محمد بن على(١٣٥٢هـ) إرشاد الفحول، دار النهضة، مصر، القاهرة ، ص١٤.

(١٠) الغزالى، أبوحامد محمد بن محمد، المستصفى(١٩٩٣م) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٥٠.

أخرين هما:

١/**المفسر:** وهو اللفظ الدال بصيغته على معناه المقصود أصالة من السياق دون أحتمال تأويل، ويحتمل النسخ، أى إنه قطعي الدلالة على معناه، مثال لذلك: قال تعالى: ﴿... وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١١)

٢/**المحكم:** وهو اللفظ الدال بصيغته على معناه المقصود أصالة و يتسم بأنه واضح فى معناه، ولايقبل تأويلاً ولاتخصيصاً ولانسخاً مثال لذلك قوله تعالي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ (١٢)

وكما قسم أصحاب الأصول المعنى الواضح الدلالة إلى عدة تقسيمات نجدهم أيضاً قاموا بتقسيم غير الواضح إلى أربعة أقسام، تتمثل فى:

١. **اللفظ الخفى الدلالة:** وهو اللفظ الدال على معناه الظاهر ولكنه يعرض له الخفاء فى انطباقه على بعض أفراد مدلوله، مثال لذلك قوله تعالي: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ (١٣) والمعنى إن الآية كانت مبصرة ولكنهم ظلموا أنفسهم بعدم الانتفاع بها، أما الذى يفسر الآية بمجرد الاعتماد على اللغة وظاهرها فيعرف أن الناقة كانت مبصرة وبذلك لايدرك بم ظلموا أنفسهم (١٤).

٢. **المشكل:** وهو اللفظ الخفى الدلالة بسببٍ فى ذات اللفظ، فيحتاج إلى قرينة تبين المراد منه، وهذا مانجده كثيراً فى ألفاظ المشترك اللفظى، مثال لذلك قوله تعالي: ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾ (١٥)، فكلمة الصريم هنا لها أربع دلالات تتمثل فى:

أ. كالليل لأنها إسودت لما أصابها، والصريم فى اللغة هو الليل المظلم(١٦)، وهو من الاضداد.

ب. أصبحت كالنهار لأنها أبيضت كالحصيد، ويقال فى ذلك صريم الليل والنهار

ج. الصريم: هو الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

د. أصبحت كالصريم: أى كالمصرومة أو المقطوعة ، وصرم الشئ بمعنى قطعة، ويقال صرم الرجل كلامه بمعنى قطعة(١٧).

٣. **اللفظ المجمل فى دلالته:** وهو اللفظ الذى ينطوى فى معناه على عدة أحوال وأحكام قد جمعت فيه، ولايمكن معرفتها إلا بمبين وفى شأن ذلك اللفظ المجمل يقول الزركشى:(كل لفظ فى الآيات احتمل معنيين فصاعداً، لايجوزلغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماءإعمال الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا لمجرد رأيهم فيه)(١٨) ، مثال لذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (١٩) فلفظ الاستواء هنا يشير إلى تمام القدرة وكمال التمكن من الكون ومافيه من مخلوقات.

٤. **اللفظ المتشابة فى الدلالة،** وهو اللفظ الذى خفى معناه، ولاسبيل إلى أن تدركه العقول ولايوجد مايفسره تفسيراً قاطعاً، وهذا النوع من الألفاظ لايرد فى الأحاديث القطعية أو آيات الأحكام.

واللفظ المتشابه فى الدلالة ينقسم بدوره إلى عدة أقسام تتمثل فى:

---

(١١) سورة التوبة، الآية ٣٦

(١٢) سورة النور، الآية ٤.

(١٣) سورة الاسراء، الآية ٥٩.

(١٤) العمرى، نادية محمد شريف(د.ت) دلالة الإقتضاء وأثرها فى الاحكام الفقهيه، د.ن، ص١٦

(١٥) سورة القلم، الآية٢٠.

(١٦) الرازى، محمد بن ابي بكر (د.ت) مختار الصحاح، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص٣٦٢.

(١٧) الرازى، مختار الصحاح، باب(ص، و، م) مرجع سابق، ص٣٦٢

(١٨) الزركشى، بدر الدين محمد(١٩٥٦م) البرهان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى الحلبى .

(١٩) سورة طه، الآية ٥.

أ. معانٍ قُصِدَ إجمالها وذلك لإنعدام قابلية البشر لفهم تفاصيلها وهذا ما يتعلق بذات الله وصفاته، والآيات فى ذلك كثيرة.

ب.مجازات وكنايات مستعملة فى لغة العرب، إلا أن ظاهرها لايليق الحمل عليه فى جانب الله تبارك وتعالى، وذلك لإشعارها بصفات تخالف كمال الألوهية، ومثال لذلك قوله تعالى:﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [٢٠] ،أى فى نظرنا ونرى عملك ونحن نحوطك ونحفظك فلا يصل إليك من أراد بك سوءاً.

ج.معانٍ بعيدة المدى، ضاقت اللغة الموضوعة عن بيان كنهها رغم أن التعبير عنها بلغ أقصى مايقربها إلى الأفهام، قال تعالى:﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ...﴾ [٢١]، فالنور هنا هو نور الله تبارك وتعالى وهو خلاف النور المعهود المنبسط على البسيطة من ضوء الشمس أو القمر.

د. معانٍ قصرت عن فهم كنهها الأفهام، وذلك كقوله تعالى:﴿...وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٢٢]، فالعقل هنا يبدو عاجزاً عن تصور هذه الحيلولة وكيفيتها لأنها من أمر الله.

ومع كل ماورد وقيل فى شأن معرفة الدلالة من حيث الوضوح والخفاء ينبغى أن يعلم القائل: إن الأصل فى معرفة دلالة اللفظ القرآني هو حمل الكلام على الحقيقة ولايعدل عن ذلك إلى المجاز إلا بقرينة دالة معتبرة من قرائن المجاز الموجبة للعدول[٢٣].

فالنص القرآني كثيراً مايخضع للحدود والبيئة والظواهر اللغوية المعهودة، وتارة نجده لايخضع للقوالب اللغوية المعهودة التى اصطلح على وضعها المناطقة أو الفلاسفة أو المتكلمون، فالقرآن الكريم قد نزل يخاطب كل العقول ويلمس كل المشاعر بكل ماتقتضيه تلك العقول والمشاعر من دواعي الخطاب.

ومن خلال هذه الآراء والأقوال التى قال بها علماء الأصول نجد أن دراسة علم المعاني قد ازدهرت حتى بلغت ذروتها فأثمرت عن ما يعرف بعلمي:

أ- التفسير ب- التأويل.

وقد دارت حول هذين العلمين العديد من البحوث اللغوية المتعلقة بعلم المعاني.

والتفسير يأتي لبيان معنى لفظ لايحتمل إلا وجهاً واحداً، أما التأويل فهو اختيار معنى من المعاني التى يمكن أن يحتملها اللفظ أحياناً مع تقديم مايدلل على صحة هذا المعنى[٢٤]

وقد حكي عن الشيخ أبي عمرو عثمان المازني إنه فرق بين التفسير والتأويل بقوله[٢٥]: التفسير هو ظاهر معنى الآية، أما التأويل فهو يقع على مراد الله تعالى ولا يوقف عليه إلا بالسماع، وقد قيل على الضد بمعنى، أن التأويل هو ظاهر الآية، والتفسير يقع على مراد الله تعالى ولا يقف عليه إلا بالسماع.

والتفسير فى اللغة من فسر يفسر تفسيراً، بمعنى أبان[٢٦] والتفسير يعنى الكشف والإظهار وجاء ذلك فى قوله تعالى:﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [٢٧] أى بياناً وتفسيراً.

والتفسير يكون فى الكشف الحسى وكذلك فى الكشف عن المعانى الغامضة، وقد جاء فى لسان العرب لابن منظور تحت مادة(ف، س، ر) فسر الشئ يفسره فسراً،

---

(٢٠) سورة الطور، الآية ٤٨.

(٢١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢٢) سورة الأنفال، الآية٢٤.

(٢٣) نقره، التهامي(١٩٨٢م) الاتجاهات السنية والمعتزلية فى تأويل القرآن، دار العلم، تونس، ص١٢٧.

(٢٤) عز الدين إسماعيل(١٩٧٥م) نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية ، دار النهضة العربية، بيروت، ص١١.

(٢٥) ارثر جفرى(١٩٧٢م) مقدمتان فى علوم القرآن، (مقدمة كتاب المبانى ومقدمة ابن عطيه) ، مكتبة الخانجى، القاهرة، ص١٧٣.

(٢٦) الرازى، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص٥٠٣

(٢٧) سورة الفرقان، الآية٣٣.

وفسره أى: أبانه، والفسر هو كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[٢٨].

ويتوسع أبوحيان فى تعريف لفظة التفسير فيقول فى ذلك:(التفسير هو بيان المراد من المجمل) ويجعل بذلك التفسير يشمل كتب الشرح المتنوعة و التعليق عليها وذلك بغية استنباط المعاني واستيضاح ما أشكل من دلالات الألفاظ ومقاصد المعاني[٢٩].

وقد روى الإمام الطبري فى مقدمة تفسيره :(عن عبدالله بن عباس أنه قال:التفسير على أربعة أوجه،وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لايعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لايعلمه إلا الله)[٣٠]

ويستنتج من رواية الطبري الآتي:

١. الذى تعرفه العرب هو الذى يرجع فيه إلى لسانهم لمعرفة دلالته ومما يروى فى هذا الجانب، قال ابن عباس: كنت لا أعرف معنى فاطر فى قوله تعالى﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٣١] ، حتى أتانى إعرابيان يتخاصمان فى بئر، فقال أحدهم : أنا فطرتها، أى: بدأت بإيجادها[٣٢].

٢. وجه لاعذر لأحد بجهله، وهو مايتبادر للأفهام بمعرفته وإدراك مضمونة كآيات الأمر والنهى والحرام والحلال.

٣. وجه يعلمه العلماء ويكون ذلك فى أمور الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية.

٤. وجه لايعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وهذا ماخفيت دلالته عن عقول البشر ولايجوز لأحد أن يخوض فيه، ويتمثل فى الآيات التى تدل على علم الغيب، وأخبار الساعة والحروف المتقطعة فى أوائل السور القرآنية وغيرها.

أما التأويل، فقد عرفه صاحب اللسان بقوله: التأويل هو تفعيل من أول الكلام يؤوله تأويلاً، وآل فى اللغة بمعنى عاد ورجع وأول الكلام وتأوله بمعنى: دبره وقدره وفسره[٣٣]، ومما جاء فى القرآن الكريم، قال تعالى:﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾[٣٤].

وقد عرف الجرجانى التأويل بقوله [٣٥]: هو فى الأصل الترجيح، وفى الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ، اذا كان المحتمل موافقاً للكتاب والسنة، وهذا يوافق ماقال به البغوي:(ان التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ماقبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، وقد رخص فيه لأهل العلم)[٣٦]

والتأويل كفرع من فروع المعنى أخذ نصيبه من البحث اللغوي، وقد ظهرت على إثره عدة مدارس تأويليه ومن أشهرها:

١. مدرسة التأويل الفلسفي التي ظهرت على أيدي الفلاسفة أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم، وهؤلاء جميعاً سعوا للتوفيق بين الدين والفلسفة، فالنص القرآني عندهم رمز، لايعرف حقيقته إلا الخواص، ففى قوله تعالى:﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[٣٧] يقولون فى تأويل ذلك : إن العرش هو الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك، والملائكة الثمانية التى تحمل العرش هى الأفلاك الثمانية التى تحت الفلك

---

(٢٨) ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب، مادة(ف، س، ر) ج٢، دار صادر ، بيروت، ص١٠٩٥

(٢٩) أبوحيان التوحيدى، على بن محمد(١٤٠٨هـ) البصائر والذخائر، دار صادر، بيروت، ص٢٦٣.

(٣٠) الطبرى، محمد بن جرير (١٣٢٣هـ) تفسير الطبرى، المطبعة الاميرية، ص٥٧

(٣١) سورة فاطر، الآية ٣.

(٣٢) الشاطبى، أبواسحاق إبراهيم بن موسى(د.ت) الاعتصام، ج٢،المكتبة التجارية، القاهرة، ص٢٩٩.

(٣٣) ابن منظور، اللسان، مادة(أ،و،ل)ج١ مرجع سابق، ص١٣٠

(٣٤) سورة يونس، الآية٣٩.

(٣٥) الجرجانى، التعريفات، مرجع سابق، ص٤٩.

(٣٦) البغوى، أبوالحسن الحسين (١٤١٤هـ) معالم التنزيل، دار طيبة، ج١، الرياض، السعودية، ص١٤.

(٣٧) سورة الحاقة، الآية ١٧.

التاسع، والعرش هو نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية والله تبارك وتعالى على العرش لا على سبيل الحلول، والعرش محمول على ثمانية، والحمل على وجهين، بشرى كحمل الحجر على الظهر، وحمل طبيعى كالماء محمول على الأرض[٣٨].

٢. مدرسة التأويل الصوفي، وهذه المدرسة تتجاوز المعاني الظاهرة إلى المعاني الباطنة، ويعتبر المتصوفة ذلك من باب الإشارات الرامزة وقالوا فى ذلك: إن للقرآن ظهراً وبطناً، فظهره التلاوة وبطنه التأويل[٣٩] ومما تأولوه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [٤٠] فقالوا إن الخراب هنا خراب قلوب المؤمنين وتعميرها بالأمانى وشحنها بمحبة الدنيا وتفريغها من محبة الله تعالى.

٣. مدرسة التأويل الباطني، ويقرب هذا التأويل إلى حد كبير من التأويل الفلسفي ويمثل هذا التأويل أصحاب الفرق الشيعية الباطنية، وقد أدخل هؤلاء الفلسفة فى تأويلاتهم الباطنية لبعض نصوص القرآن الكريم، فهم يرون أن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل، فصرفوا ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمورٍ باطنية لا يسبق منها إلى الأفهام شئ وفى شأنهم يقول الإمام الغزالي: (إنهم لما عجزو عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما فقال دعاتهم:إن جميع ماعليه الناس أمثالاً مضروبه لمثلاتٍ محجوبة)[٤١].

ومن أشهر أنصار هذا المذهب الباطني أخوان الصفا الذين زعموا أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها إلا بالفلسفة وذلك بأن الفلسفة حاوية بالحكمة الاعتقادية والمصلحة الإجتهادية[٤٢]

ومما أوله أخوان الصفا قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[٤٣].

ومن خلال استعراض هذه التعريفات لمصطلحي التفسير والتأويل ودلالة كل واحد منهما يتجلى الفرق الدلالي بينهما، وقد سار المتأخرون من علماء الأصول بهذه التعريفات نحو الدقة، فقالو عن التفسير: هو بيان المعاني التى تستفاد من وضع العبارة، أما التأويل فهو بيان المعاني التى تستفاد بطريق الإشارة، والتفسير عندهم يتوقف على النقل المسموع أما التأويل فيتوقف على الفهم الصحيح[٤٤] وبعد ذلك تفهم وتعلم دلالة اللفظ وفحواه، واضحة كانت أو خفية شريطة أن تكون موافقة لدلالات اللغة وغير مخالفة لاصول الدين القطعية .

ومن خلال هذا الاستعراض نرى التباين الواضح بين المذاهب المختلفة فالصوفية نجدهم لم يجعلوا الإشارات والدلالات من ظاهر الآيات بالأصالة كما يقول بذلك الباطنيه بل نجدهم قالوا بالظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره واعتبروه هو المقدم كما إنهم لا يقطعون بأن الآية قد سيقت أساساً للمعنى الإشاري الذى يرونه ولا يراد به سواه ولكنهم بجانب ذلك الظاهر يتجاوز المعنى إلى المعنى الإشاري الذى يتجلى لأصحاب

---

(٣٨) ابن العربي، محمد بن عبد الله (د.ت) العواصم من القواصم، تحقيق: عمار طاليس، الشرطة الوطنية، الجزائر ص٢٦١ ومابعدها

(٣٩) القاسمي، محمد جمال الدين (١٩٥٧) محاسن التأويل، ج١٧، دار احياء الكتب العربية، مصر، القاهرة ، ص٥٦-٦١.

(٤٠) سورة البقرة، الآية ١١٤.

(٤١) الأمام الغزالي، ابوحامد (١٩٩٣م) الباطنيه، ط١، دار البشير، عمان، الاردن، ص١١.

(٤٢) أخوان الصفا (١٩٥٧م) رسائل أخوان الصفا، ج٤، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت ص١٩٠.

(٤٣) سورة الرعد، الآية ١٧.

(٤٤) الخازن، علاءالدين إبراهيم (د.ت) لباب التأويل فى معانى التنزيل، ج١، المكتبة التجارية، القاهرة، ص١٤.

العقول من الأولياء الصالحين أو أصحاب(العلم اللدُنِّى).

وقد أنكر الحنابلة تلك التأويلات التى قال بها أهل الفلسفة والباطن ورجال الصوفية، ويرون أن فى ذلك زريعة إلى الضلال والفساد ومما يروى فى ذلك قول ابن تيمية : (نحن نقول بالمجاز الذى قام دليله وبالتأويل الجارى على نهج السبيل ، ولم يوجد فى شئ من كلامنا، وكلام أحد منا إنا لانقول بالمجاز والتأويل، والله عنده كل لسان ....)[٤٥] .

أما الظاهريه فنجدهم ينكرون المجاز فى القرآن ويتمسكون دوماً بظاهر الكتاب والسنة ولايميلون إلى التأويل فلا ياخذون بالمجاز الا اذا كان مشهوراً وكانت القرينة واضحةً معلنة عنه وكاشفة له وقد أنكر بعض العلماء حمل دلالات الألفاظ على غير ماوضعت له فى اللغة وفى ذلك يقول ابن العربي: (والذى تحرر بعد تحرير الافتكار فى سبيل النظر والاعتبار، إن الصريح عامٌ فى الدين، وبه جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يعدل بلفظ عن صريح معناه إلى سواه، فإن ذلك تعطيل للبيان....الخ)[٤٦]

ومن كل ذلك نخلص إلى نتيجة مؤداها، إن الآراء مهما اختلفت وتعددت فى شأن اللغة القرآنية ودلالاتها بين الوضوح والخفاء، تبقى للكلمة القرآنية أكثرمن دلالة، دلالة ظاهرة وواضحة لاتحتاج إلى أكثر من معرفة المعنى اللغوى للكلمة، ودلالة ثانية خفية لايدركها الفرد إلا بالإحساس والذوق وهذه الدلالة دلالة خاصة تميز بها القرآن الكريم وفيه تسمو إلى درجة الإعجاز اللغوى.

الخاتمة:

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً على نعمة التوفيق والسداد، فبعونه وحوله وقوته قد تيسرت لي هذه الدراسة فى كتابه العزيز بغية استجلاء العديد من الدلالات اللغوية الظاهرة والخفية للألفاظ القرآنية.

ومن خلال الدراسة للنماذج القرآنية تبين لي ماتمتاز به اللغة القرآنية من قداسة وجزالة وفصاحة وبيان، كل ذلك يكمن فى كلامة سبحانه وتعالى، مع أن القرآن الكريم من جنس كلام العرب وقد نزل على عاداتهم فى الكلام، وفى لغة القرآن الكريم نجد ماهو ظاهر وماهو خفى وكذلك ماهو حقيقة وماهو مجاز، وفى كل ذلك تتجلى روعة النظم وجودة السبك فى اللغة.

ومن خلال الدراسة تبدت لي بعض الملاحظات وهى بمثابة النتائج والتوصيات، اذكر منها:

١. اللفظ المشترك فى القرآن الكريم ينبغى ألا يفسر بكلا معنييه.
٢. لابد من التمييز بين ماهو حقيقة وماهو مجاز فى لغة القرآن الكريم.
٣. الفروق الدقيقة بين دلالات الألفاظ الظاهرة والخفيه لأبد أن تراعى عند التفسير والتأويل.
٤. للسياق اللغوى أهمية كبرى فى تحديد دلالة اللفظ، وماكان السياق لاجله فهو الثابت بالعبارة، ومالم يكن السياق لاجله فهو الثابت بالإشارة.
٥. كثير من التفاسير والتأويلات خاصةً الفلسفية والباطنية نجدها قد خالفت روح الإسلام وهذا أدى إلى ان تفهم كثير من الآيات القرآنية فهماً خاطئاً مما اثار الفتنة بين المسلمين.
٦. كل تفسير أو تأويل لآيات القرآن الكريم لابد أن يضبط بروح الإسلام وضوابط اللغة فلا تصرف الآيات القطعية الدلاله إلى دلالات إيحائية بعيدة عن المراد.
٧. لابد أن يخضع كل تفسر أو تأويل لآيات القرآن لإسباب النزول ففى معرفة أسباب النزول تفسيراً لكثير من الآيات القرآنية.
٨. لا اجتهاد فى تحميل ألفاظ القرآن معانيَ لم تضع لها وذلك من باب الاجتهاد .

([٤٥]) القاسمي ، محاسن التأويل، مرجع سابق، ص٥٦ ومابعدها.

([٤٦]) ابن العربي، العواصم من القواصم ، مرجع سابق، ص٢٦١ ومابعدها.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. الشافعي، محمد بن إدريس(١٩٤٠م) الرساله، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر.
٢. الجاحظ ، عمرو بن بحر(١٤٢٣هـ) البيان والتبين، ج١، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٣. الجرجاني، على بن محمد (د.ت) التعريفات، مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، لبنان.
٤. الخوارزمى، أبو عبد الله محمد بن أحمد (د.ت) مفاتيح العلوم، دارالكتب العلمية، لنان، بيروت.
٥. ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر(١٩٣٩م) مفتاح السعادة، ط٢، مكتبة الأزهر، القاهرة.
٦. الشوكاني، محمد بن على(١٣٥٢هـ) إرشاد الفحول، دار النهضة، مصر، القاهرة .
٧. الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد، المستصفى(١٩٩٣م) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. العمرى، نادية محمد شريف(د.ت) دلالة الإقتضاء وأثرها فى الاحكام الفقهيه، د.ن.
٩. الرازى، محمد بن ابى بكر (د.ت) مختار الصحاح، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
١٠. الزركشى، بدر الدين محمد(١٩٥٦م) البرهان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى الحلبى .
١١. نقره، التهامي(١٩٨٢م) الاتجاهات السنية والمعتزلية فى تأويل القرآن، دار العلم، تونس.
١٢. عزالدين إسماعيل(١٩٧٥م) نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية ، دار النهضة العربية، بيروت.
١٣. ارثر جفري(١٩٧٢م) مقدمتان فى علوم القرآن، (مقدمة كتاب المبانى ومقدمة ابن عطيه) ، مكتبة الخانجى، القاهرة.
١٤. ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب، مادة(ف، س، ر) ج٢، دار صادر ، بيروت.
١٥. أبوحيان التوحيدي، علي بن محمد(١٤٠٨هـ) البصائر والذخائر، دار صادر، بيروت.
١٦. الطبري، محمد بن جرير (١٣٢٣هـ) تفسير الطبرى، المطبعة الاميرية.
١٧. الشاطبي، أبواسحاق إبراهيم بن موسى(د.ت) الاعتصام، ج٢،المكتبة التجارية، القاهرة.
١٨. البغوي، أبوالحسن الحسين (١٤١٤هـ) معالم التنزيل، دار طيبة، ج١، الرياض، السعودية.
١٩. ابن العربي، محمد بن عبد الله (د.ت) العواصم من القواصم، تحقيق: عمار طاليس، الشرطة الوطنية، الجزائر.
٢٠. القاسمي، محمد جمال الدين (١٩٥٧) محاسن التأويل، ج١٧، دار احياء الكتب العربية، مصر، القاهرة .
٢١. الأمام الغزالي، ابوحامد (١٩٩٣م) الباطنيه، ط١، دار البشير، عمان، الاردن.
٢٢. أخوان الصفا (١٩٥٧م) رسائل أخوان الصفا، ج٤، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت.
٢٣. الخازن، علاءالدين إبراهيم (د.ت) لباب التأويل فى معانى التنزيل، ج١، المكتبة التجارية، القاهرة.